الخطاب الفائز بالمركز الثاني لعام 2015

تسوية أوجه الخلاف والاختلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن ما نعيشه اليوم من أوجه الخلاف والإختلاف لهو سنة من سنن الحياة والطبيعة البشرية التي يملكها الإنسان والتي تحتم عليه الخوض فيهما. وقد نتساءل: ما الفرق بين المفهومين؟ وذلك لتقارب اللفظ اللغوي بينهما، فالخلاف يشير إلى التعدد في الشيء والموقف الواحد، فهو أعم من التضاد، حيث إن كل ضدين مختلفين وليس كل مختلفين ضدين، كاختلاف الأخ وأخيه في الرأي، أما الاختلاف فيشير إلى التنوع والمواقف العديدة فهو أعمق من الخلاف، فمثلًا حين يكون الطريق مختلفًا والمقصود واحد. فاليوم الذي نعيشه فيه من الاختلاف والخلاف ما لا يحصى، ففي مجلس النواب نرى أنهم يختلفون في التصويت بين نعم ولا تحت موضوع واحد، وتقلب الليل والنهار اختلاف، ونحن كذلك في البحرين في خلاف مع الطائفية تحت سقف واحد وهو الوطن ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 118 – 119]

قبل أن أدخل في لُب هذا الخطاب ربما لاحظتم في آخر سطر من المقدمة لم أذكر كلمة (الدولة) ووضعت مكانها (الوطن) فهما ليسا سواء، فعندما نلفظ كلمة الدولة يأتي في مخزوننا العقلي ومنظومتنا المعرفية تلك المقومات التي تمتلكها الدولة في القواميس السياسية وهي السكان والأرض والحكم والسيادة، بينما كلمة الوطن تعيدنا إلى عقلنا الباطن الذي يكبت في داخله كل معاني السلام والطمأنينة والوفاء.

لقد أصبحنا نحن اليوم في البحرين في صراع ذاتي مع أنفسنا، أي ذلك الصراع الذي يضعف قدرتنا على العطاء والبذل في سبيل هذه الأرض، فمنذ آخر أربع سنوات ونحن نعاني كثيرًا من تلك الولاءات الضيقة التي تتصارع في داخلنا، والتي ما أن يولد الفرد حتى يبدأ يعي ما الذي يربطه مع الآخرين، ثم يدرك ما يميزه عن غيره، كما يعي من هم الأشخاص الأكثر تقاربًا معه، وعندها تترتب لديه الولاءات العليا والضيقة وتتشكل لديه الانتماءات، فتصبح شخصيته ثنائية أنا وهم، أو لنا ولهم، فمثلًا عند الحديث عن شكسبير لا نتطرق إلى الحديث عنه وعن مسرحياته وعن شِعره، بينما نتذكر قصة تاجر البندقية لأنها تحكي أن هناك يهوديًا جشعًا اسمه (شيلوك)! فاختلافنا في القومية يعني اختلافنا في الإحساس الزمني سواء كان حاليًا أو تاريخيًا، وفي حقيقة الأمر نحن لا نريد أن نتحدث عن هذه الولاءات أو الفئات التي تؤدي إلى الفرقة، إلا أن الواقع يجبرنا على أن نتعمق فيها لمنع توسعها وحِدة تطرفها، فعندما يشتعل التطرف لا

تطفئه الخراطيم وحدها وهذا يشكل خطرًا على أمننا القومي. ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ [الحجرات:9]

إن واقع التغيرات والتفاعلات التي شهدها العالم في فترة زمنية قصيرة أدى إلى نمو هذا الصراع في وطننا الحبيب وتأثر بها مجتمعنا وتغلغلت فيه بعض قوى الشر التي سعت إلى تدمير ركائز هذا المجتمع الوطني بهدف خلق شتات اجتماعي وسياسي، فمنذ الثورة الإيرانية مرورًا بالحرب العراقية الإيرانية ظهرت هذه الخلافات وتحولت إلى صراعات حتمية على أرض الواقع. إن الطائفية التي نراها حولنا ونعيشها حقًا -بعيدًا عن خداع أنفسنا بأننا لا نعيشها- إنما هي خلاف قديم تعلق بالعقائد، لكن الخلاف الحاصل اليوم هو ذاك الخلاف المتعلق بالشرعية السياسية والذاكرة التاريخية. فحين نتصارع من أجل الماضي نغذي المستقبل بالشرور ونثيره من دون أن نغذيه بالسلام الدائم الذي يجعلنا يقاتل بعضنا بعضًا بحجة الماضي من دون أن نعلم لماذا؟ فربما غيرةٌ على طائفتنا وربما جدلٌ لا فائز فيه والخاسر فيه كلا الطرفين، فدعونا نترك الأمس ونتحدى اليوم ونعيش الغد الجميل.

من التحديات التي نواجهها اليوم هي تلك الثقافة المنفصمة الشخصية التي تجول في ذاتنا، فنحن لسنا طائفيين في العلن ولكننا طائفيون عندما نغلق الباب، أنا هنا لا أتهم أحدًا ولكنني أدرك كمية التحامل الذي تخفيه صدورنا، قديمًا كانت هناك حرب تسمى حرب الثلاثين عامًا التي كانت بين البروتستانت والكاثوليك فسالت الدماء آنذاك، وفي ذلك عبرة لنا كونه خلاف واختلاف تحول إلى صراع ديني وسياسي، لنعد قليلًا إلى الفقرة السابقة عندما ذكرت بأن نترك الأمس ليس بحجة أن ننساه وألا نعترف به لا لا إطلاقًا، ولكن نتركه لأننا لسنا مسؤولين عنه ولا عن تلك الأفعال التي نتجادل فيها ونحن لم نشهدها، ونتركه أيضًا من أجل الأجيال القادمة، ونمحي تلك الصور النمطية التي شوهتها "حرية التشهير" التي اعتبرناها حرية التعبير، فعندما نتهم هذه الطائفة بأنهم كذا وكذا فنحن نظلم الجميع من هذه الطائفة وننسى بأن وراء هذا الفعل شخص عليه من الله ما يستحق، فمن حسن الإتهام أن نوجه التهمة إلى الشخص نفسه لا إلى أبناء الطائفة جميعهم، فحرية التعبير حق من حقوقنا لكن من دون التعدي على الآخرين بحجة أن الواحد يساوي الجميع. وبعد أن نترك الأمس نأتي إلى اليوم الذي ينتظرنا فيه الكثير من التحدي، فاليوم نحن نفتقر إلى مقومات ترشيد السلوك الذي نسلكه، ونحن أيضًا في أمسّ الحاجة إلى الإرادة السياسية التي تريد فعلًا النهوض بالوطن وأبنائه، وهذا لا يأتي في ليلة وضحاها، إنما يأتي من خلال تلك النوايا التي تريد البناء وحسن التدبير. وعندما ينتهي يومنا لابد أن نصحو للغد ونعيشه بكل ما يحمله من جمال صنعناه بأيدينا ووقفنا له من أجل هذا الوطن. واذا كان هنالك شيءٌ يفرقنا فليفرقنا أصدقاء.

وختامًا لابد في ضوء الاختلاف والخلاف أن نعترف بوجود الإنسان بوصفه إنسانًا بغض النظر عن عرقه ولغته ودينه وعقيدته، ونؤمن نحن في مجتمعنا بوجود الإنسان البحريني الذي لديه حقوق مثلما عليه واجبات، وأن نؤمن أيضًا بثقافة الاختلاف المحمود بعيدًا عن المذموم الذي يفرق صفنا ويضعف من عطائنا لهذه الأرض.

وأخيرًا فإن موضوع الخلاف والاختلاف لهو بحرٌ عميق لم نخض في أعماقه لكننا في هذا الخطاب رأينا البحر وأمواجه، وأخشى علينا أن تلطمنا تلك الأمواج ونحن غافلون، فيومئذ لا نستطيع أن ندرك ما لا نقوى عليه. وفي النهاية ربما لاحظتم أني لم أذكر كلمة (السني) أو (الشيعي) أو أي طائفة أخرى لأنني وضعت في حسباني عندما أذكر هاتين الكلمتين في البداية سيضيق خطابي وتأسى بعض الأنفس وستتحامل القلوب قبل أن تكمل القراءة وسنخضع لقانون التصنيف هذه الأيام وسيضعوننا تحت بند التنظيم الطائفي، فيا أخي السني الحبيب ويا أخي الشيعي العزيز، إن وطننا يحتاج إلينا ونحن مشتركون فيه، فلنعمل من أجله وأجلنا وليحفظ الله بلدنا ويحفظ مصيرنا.

وَلَيْتَ الّذي بَيْني وَبَيْنَكَ عَامِرٌ و بيني وبينَ العالمينَ خرابُ
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

(الحمداني)